

هذه الألفاظ الأثرية

للأستاذ أحمد رضا

—

تحت هذا العنوان كتب (الملاحظ) في مجلة الرسالة الغراء كلمة رصف بها ما اخترته من الأسماء للمعاني المستحدثة الطارئة . فقال إنها ألفاظ أثرية مجفوة ميتة ، ولم أهتم إلى وجهة نظره في توجيه هذا التمت .

الآن هذا المختار غير مألوف في الذوق عنده أو عند أدباء هذا الدور من هذا العصر؟؟ ولماذا؟ والألفة النوقية وحدها لا تكون ميزاناً للوضع والاختيار ، وإلا لما كان من حاجة إلى الوضع ، ولا سيما إذ كانت الكلمات المختارة فصيحة في أصلها جارية على السنة الفصحاء زمن ازدهار اللغة ونموها .

وربما كان المألوف لك عامياً صرفاً أو أعجمياً ، فهل تفضله لمجرد الألفة وأنس الذوق به على الصحيح الفصيح لأنه غير مألوف؟ والألفة وأنس النفس إنما يكونان بطول الصحبة وكثرة الزاولة بحيث تكون كائناً .

أو لأن هذا المختار ألفاظ نائية في السمع لتمتد تراكيبها ، وسماجة لفظها ، وتنافر حروفها؟ ولست أشعر بشيء من ذلك فيما اخترته ولا نيه الناقد إليه .

انتقد [الدرّمك] للدقيق المحسّر وهو لفظ فصيح استعمله فصحاء العرب بل جاء في كلام أفصح من نطق بالضاد ، فقد قال صلوات الله عليه في وصف الجنة « وتربها الدرّمك » وفسره ابن الأثير في النهاية بالدقيق الحواري .

وأنكر [الدغرى] للحرب المفاجئة . وقد وردت في كلام فصحاء العرب من غير استغراب ولا استهجان ولا تكبير « قالت امرأة من العرب لولها : إذا رأيت العين العين فدغرى ولا سنى » تقول إذا رأيتم عدوكم فادغروا عليهم أى اقتحموا بقتة واحملوا ولا تصافحوا [كما في اللسان والأساس والتاج] .

ثم هل ترى في مادة (دغ ر) أو تركيب دغر شيئاً من تنافر الحروف ونبو الخارج أو ما يتفر منه السمع ، وهل فرق بينها وبين مثيلاتها كالغفم والرفم والوغم والرفغ ، فهل رأيت أحداً يشكو منها ، أو يتأفف من مكانها في اللغة؟

أنكر إطلاق [الدلبق] على ثوب القضاة والحامين ،

والدلق دويبة كالسمور تتخذ جلودها للفراء ، واستمير ثوب القضاة لأنه يمت به ، قال في صبح الأمشى : الدلق ثوب متسع الأكام طويلها ، مفتوح فوق كتفيه بغير تفريج ، سائل على القدمين ، يلبسه القضاة في الدولة الأيوبية ، وهذا الذي أطلقناه على الروب .

فا ينكر من هذه الكلمة؟ وهل مثلها إلا مثل الفلق والأرق واللق والدمث في هذا الشأن ، أوليست هي أولى بالاستعمال (وإن كانت معربة في الأصل عن الفارسية) من الروب من حيث أن قدماءنا استعملوها ونحن نجري مجراماً؟

وتنكر للر بيضة وهي في كتب الأئمة قطر السجلات (أبي المحاضر) وقد كان مجمع نادى العلوم في مصر وضع لها (الملف) ولكنني اخترت الر بيضة لأنها أخص بالدلالة على المراد ، فهل الدوسيه الأعجمية خير منهما ، وهل التجاني عنها وعن أمثالها واللجوء إلى الكلمات الأعجمية القريبة عن لغتنا ، يبلغ بنا الآمال في تهذيب لغتنا ، وتطهيرها من الأدوان .

وجئت بالكيف لجزدان الطيب ، وقد استعمله الراعي العربي في أدواته التي يضع فيها مبرانه ومقمعه ، والصائغ لأدواته ، والتاجر للخفيف من متاعه ، وما أنا أريده هنا لمقص الطيب وسكينه وملقطه وقطنه ، فأى محذور في ذلك سوى أن ذهن منتقدي القائل ولسانه لم يأنف مع أنه كلمة مفردة ثلاثية ساكنة الوسط وحروفها معدودة من الدرجة الأولى في استعمال حروف المعجم العربية .

وانتقد إطلاق الشوذر واللق على القميص بلا كين ، وقد نص الأئمة على أن الشوذر برد يشق ثم تلقيه المرأة في عنقها من غير كين ولا جيب ، وأن الصلقة قيمس بلا كين ، أفلا تكون إحدى اللفظتين خيراً من الشورت التي هي غريبة عنا وعن لغتنا؟ وكذلك القنع للطبق الذي توضع فيه الفاكهة على الموائد ، (وقد أقره المجمع العلمي العربي المشق واختاره على القناع لتقليل الاشتراك) وجاء في الحديث آتته بقناع من رطب ، قال في النهاية ويقال القنع بالكسر والضم ، وقال الأئمة القنع الطبق من عسب النخل يجعل عليه الفاكهة .

وقد كنت عارضت بعض ما وضعه مجمع اللغة العربية بمصر في الأوضاع العامة بمد أن فسح المجال مدة ستة سنين ليد ذلك من الباحثين في اللغة ، فاخترت مثلاً الطيرز وزان هم على الطيرز وزان قلم للبيت الميقي (القيلا) والجناح مكان الشقة ، والحيفة

موضع البراءة وكلمات أخر ، فرد على فيها اللغوي التحرير الأب أنستاس الكرملي ، وناقشني غيره فيها وفي غيرها نقاشاً لم يكن اعتباراً بل كان مستنداً إلى الحججة والبرهان^(١) وحبذا مثل هذا الجدل الذي يحصر الحقائق ويرشد إلى الصواب . وأرى في مزيد إيضاح لهذا البحث :

إن كل عربي غيور على أمته ولغته ينظر ما آل إليه أمر اللغة الفصحى في العصور المتأخرة حتى أواخر القرن الثالث عشر مجدها قد انهزمت انهزاماً مؤلماً أمام طينان اللغة المامية المستعجمة منذ استولى سلطان الأعاجم على الدولة وملكوا قيادها . وإنما الرعية على دين ملوكها . حتى تمدى ذلك إلى المؤلفين من هاتيك العصور فتجد في النجوم الزاهرة مثل قوله « وعندما يزلون من الوزارة يصبح يأخذ غلامه الحرمدان بروح يقعد في ديوان الإنشاء » ويجد في نشوار المحاضرة ، من الكلمات الطارئة الأجمية التي حلت محل مرادفاتنا من الفصحى ما تنوسى معها الفصحى ولم ين مألوفاً ، كالدقدان والكردناج والشامخ والسكردان وغير ذلك ثم ما نرجو من زمن أو دولة زمامها بيد طرناي ومنكوتغر أن تنهض باللغة وتطهرها من مثل هذا الفساد وترجمها إلى ما كان عليه أهلها من بلاغة في الأسلوب ، وفصاحة في الكلمات وعذوبة في اللفظ ، ورشاقة في المعنى .

آلم ذلك الكرام البررة أهل النيرة على لغة الكتاب والسنة ، لغة البيان والبلاغة التي خص الله بها هذه الأمة النجيبة فكانت مفخرة من مفاخرها ، وآية في إعجازها وإيجازها وبراعة أسلوبها ، آلمهم ذلك وهم يرونها في هزيمة شنيعة أمام هذه اللغة الفاسدة الفائلة فتحاولوا تطهيرها من هذه الأدراج ، وكانت محاولتهم تلو وتخط وتذكو وتخبو ثم تراجم بتأثير الزمان والمكان والأحوال الطارئة ، إلى أن قبض لها ثلة من الأبرار الأطهار من رجال مصر في أخريات القرن الهجري الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر للهجرة ، ودعا المرحوم عبد الله فكري في سنة ١٨٨١ إلى إنشاء مجمع لغوي فحالت دونه الثورة العراقية ، ثم دعا إليه ثانية في سنة ١٨٩٣ فلبى دعوته العلماء البررة كالشيخ محمد عبده والشنيطي والويلحي وفتح الله وحفني ناصف فلم يرفقوا كل التوفيق ، وقام نادي دار العلوم بالمبء ، حتى التأم المجمع بنشاط الدولة

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ١٦ : ١٨ ورد الكرملي

ج ١٦ : ١٦ وجواب له ج ١٧ : ١٨٥ .

المصرية لهذا الأمر ، فتألف مجمع اللغة العربية بمصر ، ونشطت قبل ذلك الحكومة الفيصلية بالشام ، فكان المجمع العلمي العربي ، وشمرت اللغة العربية منذ سرت هذه الروح الطيبة في علماء سائر الأقطار العربية وعلى الأخص مصر والشام بانتماش سيرجع بها إلى سيرتها الأولى إن شاء الله لولا ما يعترض ذلك من تفنن بعض أدبائنا وتملقهم بالأساليب الأجنبية التي لا تتمشى مع استقلال اللغة ومميزاتها القومية الخاصة ، ولست أعنى بذلك أننا نجمد على القديم ، بل علينا أن نغاشي التطور الذي لا يدفع بنا إلى نكران ميراثنا ، بل يميننا على تحسينه وتهذيبه بما لا يذهب بقوامه وخصائصه ، وهل يتم لنا ذلك ما لم نتقن لغتنا وخصائصها ، بياناً وأسلوباً ، ونعرف ما كان عليه قومنا الأولون في نهضتهم الأولى ونجربى على - منهم .

نعم إن اللغة العربية غنية بما دنتها بحيث تكفي ألفاظها لكل معنى مستحدث وفي كل غرض جديد ، كما يقول المنتقد الفاضل ، فهل اختيار الأسماء لهذه الطوارئ المستحدثة يؤثر في أصل معناها الراد ، وإلام يرجع الناشد لهذا في اختياره ؟ إلى الكلمات القديمة التي استعملت زمن العرب ، وفي العصور الأولى ، عصور النهضة وقد نسي ذلك المنتقد الفاضل علينا وضرب لها مثلاً بالبروم والدنانير المضروبة زمن هارون الرشيد؟ أو نضوع لها ألفاظاً جديدة تكون من ضرب هذا العصر وليست من لغة القواميس المتيقة ؟ وهل ضر الدينار المراق اليوم كون اسمه ديناراً لأن

الموضوع له حديث والاسم قديم من ضرب زمن الرشيد ؟ نعم ، إن على من يعنى بهذا الأمر ، وهو من أهله ، إذا سنع له الاختيار ، أن يختار الألف الأذنب من الكلمات العربية التي هي أقرب في معناها الأول الذي وردت به عن العرب إلى معناها المستحدث ، الذي يراد وضما له . فإذا أغلق عليه ذلك ، ولم يوفق له ، امتحن ناحية النحت والاشتقاق والتعريب في الوضع ، ولا يتمدى في ذلك كله طريقة الاقتراح ، فلا يبت في شيء ما لم يقره أحد المجامع اللغوية ، التي لها القول الفصل ، فإن خرج الأمر عن هذا وعمل كل أديب أو من يشدو شيئاً من الأدب على ذوقه كانت هي القوضى وأشكل الأمر ، والله الموفق للصواب .

أحمد رضا

التبعية : جبل عامل (لبنان)

مجمع المجمع العلمي العربي بدمشق